الإمام
زيد بن على زين العابدين
- قتلوه ونبشوا قبره ومثلوا بجثمانه.

obeikandl.com

obeikandl.com

الإمام زيد بن على زين العابدين

عاش الإمام زيد بن على زين العابدين فى عصر بلغت الفتوحات الإسلامية قمة مجدها، فجيوش الإسلام تنتقل من نصر إلى نصر، ورايات الإسلام تخفق من الصين حتى المحيط الأطلنطى.. هذا المحيط الذى كان يطلق عليه بحر الظلمات لأنهم لا يعرفون فى هذا الزمن ما وراء هذا المحيط وعاش الناس هذا المجد مشغولون بالجهاد فى سبيل نشر الإسلام ومبادؤه وقيمه ، غاضين الطرف عن الجانب السلبى من حكم بنى أمية، حيث كانت تسود المظالم، وقمع كل الحركات التى يرون فيها مساساً بالعرش الأموى بقسوة شديدة.

فى هذا الجو ولد زين بن على زين العابدين فى المدينة سنة ٨٠هـ.

ولد فى جو مفعم بالأحزان ، فوالده على زين العابدين هو الوحيد الذى نجا من كارثة كربلاء حيث استشهد الإمام الحسين ومعه من وقف بجانبه من آل البيت.

ولم ينج والده إلا لأنه كان صغير السن مريضا حمته عمته السيدة زينب رضى الله عنها.

وظل زيد بن على يتذكر ما كان يسمعه عن أحداث كربلاء، وعن الوحشية التى لقيها آل البيت من يزيد بن معاوية وأعوانه تملأ سمعه وبصره رغم أنه سمع عنها ولم يرها:

كان بنى هاشم يتوقون للخلافة بعد رحيل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى جوار ربه وكان الإمام على بن أبى طالب يرى أنه الأولى بالخلافة ، وحدث أن اختلف الناس عقب وفاة الرسول الكريم فى «سقيفة بنى ساعدة» على من يكون خليفة للمسلمين بعد الرسول ﷺ وكان الأنصار يريدون الخلافة لهم.

وذهب أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، وحسموا القضية لصالح مكة، وبويع الصديق خليفة للمسلمين ، وكان الإمام على مشغولاً

بجهاز الرسول ، فلم يحضر أحداث السقيفة، ولكنه عرف أن الخلافة آلت للصديق، فبايعه فيما بعد.

ولكن بقى فى النفس النزوع إلى الخلافة.. والذين تشيعوا للإمام وآل البيت بعد ذلك، كان منهم المعتدلون.. وكان منهم الغلاة الذين ألحقوا بالإمام على صفات رفضها هو بل حاربهم على هذا المروق، الذى يرفضه الدين.

الذين تشيعوا للإمام رددوا قول الرسول عن الإمام : « أقضاكم على».

«أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى».

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق »

فقد كان الإمام على قريباً من الرسول لأنه ابن عمه من جهة ، ولجهاده فى سبيل الدين من جهة أخرى.. ولكن الرسول أوصى فى أثناء مرضه أن يخلفه فى إمامة الناس فى الصلاة الصديق ، ورأى الناس أن ذلك بمثابة ترشيح له بخلافته.

ونرى الأستاذ العقاد فى كتابه «عبقرية الإمام» يقول:

(ويلوح لنا أن النبى كان يحب علياً ويحببه إلى الناس ليمهد له سبيل الخلافة.. ولكن على أن يختاره الناس طواعية وحباً، لا أن يكون اختياره حقاً من حقوق العصبية الهاشمية، بل على أساس حكم القرآن، ومنهج الإسلام فى الشورى).

والذين ساروا فى تيار التشيع بعد ذلك.. غالى بعضهم بطريقة أساءت لهم. عندما آله بعضهم الإمام على.

يقول ابن خلدون:

(وقد حرق على بالنار من ذهب إلى تأليهه وسخط محمد بن الحنفية على المختار وصرح بلعنه والبراءة منه، وكذلك فعل جعفر الصادق رضى الله عنه).

ومن هنا نرى أن الصراع بين البيت الهاشمى ، وبين الأمويين كان صراعاً حاداً.. وأن الذين أيدوا آل البيت بعضهم كان حباً فى آل البيت. وأما الغلاة منهم فكانت وراءهم أهواء.

وهذه الأجواء التى كانت تسيطر على الحياة عندما عاش الإمام زيد، دفعت أهل المدينة إلى الابتعاد عن السياسة ، والتفرغ للعلم والعبادة، وكان على زين العابدين والد «زيد» متفقهاً غير راغب فى لعبة السياسة، حريصاً على العلم والعبادة، وأنشأ ابنه على ذلك. . فهو يعلم ماذا فعلت السياسة بأبيه الإمام الحسين ، وشاهد بعين رأسه أهوال كربلاء وهو مازال صبياً. . ومن هنا رفض أن يتجه إلى العراق بناء على طلب الشيعة، فهم قد خذلوا من قبل والده الإمام الحسين. . بل أنه أوصى ولديه «زيد» و «محمد الباقر» ألا يستجيبوا لأى دعوة من أهل العراق باسم مؤازرتهم للخلافة.

وتفرغ على زين العابدين للعبادة، مثله مثل أهل المدينة الذين ابتعدوا عن السياسة وهمومها.

وظل مع ابن أخيه جعفر الصادق يدرسان الأحاديث النبوية ويتفرغان للعلم وتلقيه عن علماء المدينة، وسرعان ما تاقت نفس الإمام «زيد» إلى أن يوسع مداركه العلمية، فاتجه إلى العراق ليعرف مختلف الاتجاهات وخاصة فى البصرة والكوفة.

لقد وطد الرجل حياته على أن يتفرغ للعلم، وأن يعرف ما يجرى فى الكوفة والبصرة من علوم ومناقشات. . ولكنه سخط على المظالم التى يشكو منها الناس، وسخط أكثر عندما كان يسمع عن سب الإمام علىّ على المنابر ، ولم تنج من ذلك حتى سيدة نساء أهل الجنة «فاطمة الزهراء».

ووجد أن الصمت حيال هذا كله يتنافى مع ما أمر به الشرع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وليس من المعروف سب رابع الخلفاء الراشدين وابن عم رسول الله ﷺ. وليس من المعروف الإساءة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ.

وحاول بعض أهل الكوفة إغراءه بالثورة. . ولكنه آثر أن يعيش للعلم وأن الوقت لم يحن بعد لذلك . . كما أنه رأى انحرافات البعض فالبعض سول له شيطانه أن يقول أن الوحى كان سينزل على الإمام علىّ ولكنه أخطأ!

والبعض سوّل له شيطانه أن يسب أبا بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب وهما من هما حباً لله ولرسوله ومواقفهما فى خدمة الإسلام لا ينكرها إلا جاحد جاهل.

وما كان من الإمام «زيد» إلا أن حاول أن يرد هؤلاء المارقين إلى صحيح الدين، ولكنه عجز عن ذلك.. فقد سيطرت على عقولهم هذه الأفكار التى لا تمت إلى الإسلام بصلة.. بل هى خروج عن الإسلام.. وكان يحدثهم عن فضائل الشيخين الصديق وعمر، وأن الإمام علىّ قد بايعهما بالخلافة.. ولكنه كان يخاطب عقولاً قد تحجرت واستعصى عليها الفهم.

ورأى الإمام زيد صراع الآراء حول مرتكب الكبائر هل هو خالد فى النار، أم فاسق، يتلقى العذاب على قدر ذنبه؟

وهناك من يتحدث أن مرتكب الجريمة يرجع أمره إلى الله إن شاء غفر وإن شاء عاقب.

وأمام هذه الأفكار المتنافرة والمتصارعة كان الإمام «زيد» يرى كما يقول عبدالرحمن الشرقاوى:

اقتراف الكبيرة منزلة بين الكفر والإيمان ويسمى مرتكبها فاسقاً.. وهو مسلم لا كافر، ولكنه ليس مؤمنا، لأن المؤمن ولى الله ومرتكب الكبيرة يعصى الله، ثم أن الإيمان يقتضى الطاعة ومرتكب الكبيرة عاصى، ولكن لا يخلده الله فى العذاب، بل يعذبه الله بقدر ذنبه.

أما عن القضاء والقدر وحظ الإنسان من الجبر والاختيار، فالإمام زيد يعتبر الإنسان حرا مختاراً فيما يفعل وفيما يأخذ أو يدع من طاعة وعصيان، ذلك أن المعصية ليست قهراً من الله ولولا هذه الحرية لسقط التكليف.. ولسقط الثواب والعقاب فالإنسان إذن مسئول عما يفعل.. وبمقتضى حريته فى الاختيار يستحق الثواب والعقاب، ولكن على الإنسان أن يؤمن بالقضاء والقدر وهذا الإيمان لا يلغى

حرية الإنسان. . وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه سأل سارقاً : لما سرق؟ فقال: قضى الله على بذلك. . فأمر عمر بقطع يده وبجلده قائلاً:

- القطع للسرقة ، والجلد للكذب على اللَّه.

والقدر هو تقدير الله فى علمه الأزلى، والقضاء هو حكمه التكليفى ، والإنسان حر أن يعمل أو لا يعمل وهو يحاسب بعمله.

ويقول الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى أيضاً:

وكان الإمام زيد يوضح للناس ما روى عن الرسول ﷺ فقد شبه الرسول قضاء الله وقدره، بوجود الإنسان بين السماء والأرض لا يستطيع منهما فكاكاً وشبه حرية الإنسان فى العمل بحريته على الأرض، فلا السماء والأرض تمليان عليه ما يصنع!

وشرح موقف الإمام على بن أبى طالب من هؤلاء الذين يحسبون أن أعمال الإنسان هى قضاء لازم وقدر محتوم. . فقد قال الإمام على!

(لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب ، والوعد والوعيد، والأمر والنهى، ولم تأت لائمة من الله لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسىء، ولا المسىء أولى بالذم من المحسن).

ورأى الإمام زيد فى القضاء والقدر شبيه برأى حسن البصرى الذى عرفه الإمام زيد فى العراق.

يقول حسن البصرى (من لم يؤمن باللَّه وقضائه وقدره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على الله فقد كفر).

كان للرجل إذن فقهه واجتهاداته ، متخذا من العقل وسيلة للفهم والتدبر والاستنباط فيما لا يوجد فى الكتاب أو السنة. لأن العقل هو الذى يرجع إليه فى الخطأ والصواب.

ثم أخذ الإمام فى الحديث عن الأمور العامة، وأهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكانت هذه الجرأة فى إبداء الرأى فى المسائل العامة مما أغضبت عليه الخليفة هشام بن عبدالملك، كما علم الخليفة بالتفاف الناس حوله، ولم يرق له ذلك، فكتب إلى والى العراق: (أمنع الناس من حضور مجلس زيد فإن له لساناً أقطع من السيف وأحد من الأسنة وأبلغ من السحر).

وعندما رأى الخليفة أن والى العراق خالد بن عبدالله القسرى معجب بالإمام زيد عزله وأمر بسجنه وولى بدلاً منه يوسف بن عمر الثقفى.

بل أن الخليفة هشام استدعاه يوماً إلى قصره، وقابله مقابلة خشنة وطرده من قصره، ولم تعجبه ردوده عليه.

فخرج الإمام زيد وهو يقول للخليفة :(أخرج . . ثم لا ترنى إلا حيث تكره).

ويذكر الطبرى أنه (وقد اجتمع إليه «إلى زيد» جماعة من رؤوسهم فقالوا: رحمك الله ، ما تقول فى أبى بكر وعمر؟

فقال: رحمهما الله وغفر لهما . . ما سمعت أحدا من آل بيت يتبرأ منهما . .

قالوا : فلم تطلب إذن بدم أهل هذا البيت؟ إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم؟

فقال: إن أشد ما أقوله فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان رسول الله من الناس أجمعين وأن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا لهم كفرا، وقد ولوا فعدلوا بين الناس وعملوا بالكتاب والسنة.

قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين.

فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاء ظالمون لى ولكم ولأنفسكم - وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل.

وأخذ الناس يلتفون حوله ونبه الخليفة واليه على العراق بما يحدث ، وبما نقله إليه الناس ، فأخذ يقبض على أتباع الإمام «زيد» . . وأخذ الناس ينفضون من حوله خوف السلطة، ولم يعد يلتف حوله إلا مائتان بعد أن كانوا أربعين ألفا . . وكان لابد من قتاله واجهوه بجيش كبير استطاع هذا الجيش أن يقضى عليه وقد أصاب الإمام سهم فى جبهته أدى إلى موته . .

وعندئذ تقدم بعض أصحابه ودفنوه فى ساقية ، غير أن الأمويين أخرجوه وأخذوا رأسه ونصب على باب دمشق ، وعندما مات هشام وتولى بعده الوليد ابن عبدالملك أمر بإحراقه. وكان قتله سنة ١٢٢ هـ . . وقال البعض الآخر أنهم نبشوا قبره ومثلوا بجثمانه وصلبوه على جذع نخلة!.

وقد روى أبو فرج الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين أن الإمام أبا حنيفة كان ينصر زيداً وأنه أرسل إليه يقول:

(إن لك عندى معونة وقوة على جهاد عدوك فاستعن بها أنت وأصحابك فى الكراع والسلاح) وأنه بعث بمال إلى زيد فقبله منه.

استشهد الإمام زيد وخلفه جعفر الصادق.

obeikandl.com